

على عهد الامير

## لماذا ؟

### رواية لبنانية تاريخية

نظم فزاد افرام البستاني

وقد يكون من الابناء ضحايا في سبيل آباءهم  
من حيث لا يدرون

### الفصل الثامن

#### في بنزراه

- هل ترى اولئك الحياطة في قعر الوادي ، يا ديب ؟
- نعم ! وانا منذ دقائق اراقب هذه الاشباح . ولكن نظرك افئذ من نظري . فحدق ، يا غر ، حدق الى جهة الشمال ، واجتهد في ان تضبط عددهم .
- واحد . . . اثنان . . . ثلاثة فرسان ، وراجل .
- هذا ما خيل اليّ ولكن ما رأيك في وجهتهم ؟
- اراهم تركوا طريق الوادي . . . هاهم متجهون نحونا . . . سلاحك ! وكن مستعداً .
- لا تخف ! فالطنجات محشوة ، والذخيرة وافرة . واني لأرمتينهم امامك واحداً واحداً من هذا «المجال» !
- ثم اخرج ديب طبنجته من زناره ، وبعد ان اجالها بين يديه مأخوذاً بلمعان حديدتها ، جلس القرفصاء . ووضعها على ركبته ، وعيناه لا تزالان عالقتين بالحياطة والراجل .
- فعل غر فعله ، وقال :

- ولكن لا تطلق الرصاص قبل ان تتحقق من القادمون ا  
- لا تخف ا

\* \* \*

كان عمر وديب من رجال الامير جيهجاه الامناء وكُلها على القصر واهله ،  
وعهد اليها في حمايته من الطراري ، مدة غيابه . فكنا يقضيان النهار طائفتين  
حول السور يتفقدان المتأذ ، ويرميان بطرفيها الى الاودية القريبة ، فيصران  
كل صاعد في المسالك المختلفة التي تؤذي الى القصر . حتى اذا غابت الشمس  
عينا الحرس لكل مركزه ، وتوارى السمر ؛ فكان عمر يفتش النقاط من المغرب  
الى انتصاف الليل ، وديب من تلك الساعة حتى الصباح .

وكنا في ذلك المساء قد رتبنا الحرس ، واقبلنا بجولان حول القصر . فلفتت  
نظرهما تلك الاشباح في الوادي ، فوقنا يتبادلان الآراء ، ويستعدان للدفاع . . .  
وما هي هنية حتى قال عمر ، وهو لا يرفع بصره عن الحياطة :  
- انظر الى الجواد الأيسر . كأنني به الدهماء . فرس سيدنا . فالحرمة حركتها ،  
والسرج سرجها ، والرشة رشتها .

- اذا فيكون سيدنا قد رجع من الديب ؟ ولكن ذاك الفارسان من  
يكرونان ؟

- لا أعلم !

- والرجل ؟

فحدق قليلاً ثم قال باشا :

- لقد صدق ظني ! هو سيدنا المير . انظر الى الدهماء . تحتال وتصل ،  
اذ ابصرت اعالي بعدران . وانظر الى القوس الوسطى فكأنها نعابة ، فرس  
الشيخ قعدان رحمة الله عليه . اما الراجل المتقل على الحصى تنقل الغزلان فمن  
يكون سوى ذاك الغفريت فرحات . لقد اشتقنا اليه والى احاديثه . لتلك الله  
يا ديب ا كدت ، والله ، تطلق النار على سيدنا . . .  
فعمقه ديب ورد طينجاته الى زناره ، وقال :

- بل لتتك الله انت ا فانت قلت لي احمل سلاحك واستعد .

وبعد ان استكف نمر ثانية ، قال باهتمام :

- اظن ان الفارس الاوسط هو الامير بشير بيينه . فاتركني هنا يا ديب ،

واسرع الى القصر ، فبه الخدم كي يكونوا على استعداد تلم لاستقبالهم .  
وادخل فبلغ الست وصول الامير مع ضيفين لم نعرفهما بعد .

\* \* \*

وما هي دقائق حتى وصل الحياطة الى امام القصر فترجلوا . واسرع نمر فقبل

يد الامير بشير ، فيد الشيخ سلوم ، فيد سيده الامير جهجاه . فقال هذا :

- كيف صحة الست ؟

- احسن يا سيدي ا فقد قامت بالامس ، وتمت قليلاً في الدار !

فالتفت الامير بشير مستهنماً . فقال الامير جهجاه :

- سعدى مريضة من ثلاثة اشهر . وقد اقلقتي مرضها كل القلق . فهي لا

تسعل ، ولا تأرق ، ولا تشكو الماء موضعياً . ولكنها دوماً متكسرة العضلات ،

مرتجة الاعصاب ، فاقدة الشهية للطعام . وقد تتلبها نوبات تذهب بجوانبها مدة .

ولم تقدر على وجود علاج لحالتها . بل لم يعرف احد ان يشخص مرضها . وقد

اثر فيها نبأ وفاة الشيخ قعدان ، وجزعت لبعث غانم . فهي طريحة الفراش منذ

شهر . وبدور لا تقارنها ليل نهار . وقد صرت قلقاً على حالة الصبية ايضاً ، لأن

العنا . بلغ من صحتها النحيقة مبلغاً بعيداً . فاحاط السهر عينيها بدوائر الأسي ،

وتزع المزال اللون من وجنتيها ، وغددت الهم وجبها ، حتى انك تنكورها

لأول مشاهدة . هذا وقد بذلنا فرق الجهد في ردعها عن السهر ، ومنعها من

ملازمة امها دون جدوى . . . فما لي غير الصبر ، وليس لي رجاء الا بالله سبحانه

يفعل ما يشاء . وكما يشاء !

فاجاب الامير بشير وقد هدجت صوته نبرات الأسي :

- تكون النتيجة على سلامة ان شاء الله . تعود الست الى صحتها ،

وتعود النظارة الى وجهه بدور . . .

ثم اطرق صامتاً مفكراً بمصائب الامير جهجاه ، مكبراً عزمه تجاه الرزايا ،

معجباً بصره عن افشاء ما يجيش في ذاك الصدر الواسع .  
 وكانوا قد وصلوا الى رتاج القصر . فأسرع بعض الخدم لاستقبالهم ، ينفضون  
 عنهم النبار ، بينما كان غيرهم يتحوتون بالخيول الى الاصطبل . فاروا ترواً الى  
 ردهة الست سعدي يعودونها ويسألون عن صحتها .

فراع الامير بشير ذاك الوجه الشاحب ، وذاك الجسم البادي هزاله بدقة  
 اليدين ، المتسلسل تحت اللعاف ، على فراش وثيد في زاوية الردهة الكبيرة .  
 وكان الى جنب المريضة طرأحتان ، قعدت بدور على واحدة منها وامامها طليئة  
 صغيرة عليها كأس كانت تذيب فيها بعض الدواء . . وجلس على الطراحة الثانية  
 الحوري يوسف ، راعي الضيعة ، يلقى المريضة تارة ببرد نوادره المديدة  
 وحوادث حياته الطويلة الملائي بالعبء والحكم ، وطوراً بعظاته ونصائحه  
 بالاستسلام الى مشيئة الله ، والاتكال على عنايته الالهية . وكانت عينها بدور  
 تتنقلان من وجه امها النحيل ، الى حلية الحوري الطويلة البيضاء ، وشاربيه  
 الكثيفين الصادرة من خلالها تلك البهوات المطشنة التي كانت تقع على ما  
 تار من دوافع اليأس في اعماق نفسها فتسكنها ، وتلك الكلمات العذبة . الحكم  
 السامية التي كانت تضع بلسماً لطيفاً على جروحها الدامية فتضدها . فتردد دائماً ،  
 عن قصد وعن غير قصد ، ما كان يعلق بذهنها من كلام الحوري : « اللهم !  
 تسكن مشيتك لا مشيتنا ! »

اما المريضة فاستقبلت الزائرين بوجه طلق ، وبشاشة ظاهرة . ووقف الحوري  
 وبدور . فاسرع الأميران والشيخ فقبّلوا يد الحوري الجليل ، فقبل هذا الامير  
 بوجهه في رقبتة ، وبارك الجميع . ثم سلّوا على الست سعدي ، وعلى بدور .  
 وجلسوا يسألون عن صحة الجميع ، ويسألون المريضة باحاديث كلها دافعة الى  
 الامل بالشفاء . القريب .

وهم على تلك الحال ، واذا بفرحات يدخل ببطء ، وقد قصم الحزن ظهره ،  
 فيقبل يد الحوري ، ثم يكب على فراش الست سعدي فيقبل يدها صامتاً ذارفاً  
 دمتين احنت بجرادتها على ظهر كنفها النخيلة ، ثم يسلم على بدور ، ويتراجع  
 فيجلس جانباً في زاوية الردهة .

وكان الامير بشير قد استراح من دهشته فاستعاد رباطة جأشه ، واقبل يروي عما جرى له ولاصطابه في عكا . ويكثر من الكلام عن غانم واحواله الحسنة وصحته الجيدة ، وانه كلفه اىصال القنسايطر المقنطرة من السلام والاشراق ، وانه عما قريب يأتي قصر بىذران فيقضي فيه حياته . وكان الامير يلاحظ ان حديثه عن غانم يبعث الجميع على الارتياح ، فاخذ يمدد موضوعاته ، ويتوسع في اقسامه ، ويراجع بعض الاشياء ، والكل مسرورون بذلك . حتى تكاثف الليل . فنبه الامير جهجاه الى ضرورة تناول المشا . ودعا الحاضرين الى القبر المجاور فرتت صحابة دكناء امام عيني الست سعدى لشعرهما بأنهم سيتركونها وحدها ، وهي لم تكفّر بعد من اخبار غانم . واحس الامير بشير بما بدا عليها من القلق فقال :

— وما ضرنا لو اكلنا هنا عند الست سعدى ا

فوافق الجميع على هذا الاقتراح . وامرت بدور الخدم ، فياؤوا معدّات العشاء . وترتب الجميع حول المائدة ، الا الخوري يوسف ، فاعتذر بانه تعشى في « القلّاية » قبل مجيئه .

\*\*\*

وبعد ان اكنفوا من الطعام وغسلوا ايديهم ، تحوّلوا كل الى مركزه ، فاخذوا بتابعة الحديث عن غانم واحواله في عكا ، ومظاهر الجزار وما في بلاطه من الخدم والمساكر والكتّاب . وعن الحالة الحاضرة في الجبل ، وموقف الامير من حزب المعارضة ، وما يترقبه من المارك التي قد تحدث قريباً في المتن حيث يجمع الامراء اللعيرين رجالهم ، وفي جبيل حيث لجأ ابنا الامير يوسف . وكان الأمير اراد ان يطعن الخواطر ، فقال :

— على ان كل هذه المارك التي تقدّر انها ستحدث ، تبدو لي احقر من ان تؤثر في مجرى اعمالنا في المستقبل . فما علينا الا ان نستميل اللعيرين ، ونضرب الزكديين الضربة القاضية ، ونسرع بايقاع الازهاق في حزب ابنا الامير يوسف ، فكفل لنا الظفر همة ابطالنا المغاور كالأمير جهجاه ، ورأي مدبرينا الحكما كالشيخ سلوم .

فتبسم الجميع ، وأمنوا على كلامه .

وكان الأمير لا يكاد يرفع نظره ، طول تلك الليلة ، عن بدور ، فيروعه منها ذاك اللون الترابي الذي أبدل بنضارة خديها ، وذاك التماسك في أعضائها الذي كاد ينفي همتها السابقة وحياتها الظاهرة في جميع حركاتها . وكان يتقل أجنافها ذبول غير محدود يُرخي الأهداب فيكاد يطبقها ، لولا ما تقوم به من الجهد لفتحها ، فتبدو عينها ، وقد احاطت بها هائلتان صفراوان ، وجدت مقتنهما فيبت ماؤهما ؛ فإذا نظرتا ، التفتا دفعة واحدة وشخصتا الى هدف غير معروف . يظهر على كل ذلك شيء من الطمأنينة الصامتة ؛ والاستسلام الكلي الذي قد يدفع الناظر الى القلق وتوقع اليأس الوخيم ، لولا ما كان يُرى في قمات الوجه من توتر اعصاب ، وفي الشفتين من انطباق غنيف يدل على حزن شديد مكثوم بقوة ارادة تضبط العاطفة ان تتردد ، وتمنع الصدر ان ينفجر بالآثات .

وكانت الفتاة ، اذا أعرض عنها اثناء الحديث ، تته عينها في فضاء المنزل ، كأنها تفتشان في الافق البعيد عن شيء غير منظور مجذوبتين بلعان غير معروف ؛ واذا خوطبت تلتفض بسرعة ، وتلتفت جملة ملقبة على مكلّمها بصراً لا يستقر ألا جامداً ؛ واذا تكلمت ، تندافع كلماتها بنبرة متقطعة . لا تجيب الا قلقة ؛ ولا تلقي سؤالا الا حذرة ، كأنها توجس خيفة من سماع جوابه .

فايقن الأمير ان في نفسها النشبة من الاضطراب ما قد يكون دونه اضطراب حالة الجليل ، وان في شعورها الرقيق من الايجاس ما قد يفوق الايجاس من تلك المارك المتبلة . فشملت حالتها باله كل الشغل ، حتى انه لم يفكر بعد ذلك الا بما عسى ان يكون السبب المؤثر في ذاك القلب الحساس ، وبما عسى ان يعيد الطمأنينة والسلام الى تلك العاطفة المضطربة . . .

( لها بقية )

## شذرات

### المحصولات الداخلية في مناطق الانتداب سنة ١٩٢٧

لبنك سورية ولبنان الكبير نشرة دورية تحمل الفوائد الكثيرة من مالية، واقتصادية، وتجارية، وقد ظهر مؤخرًا عددها الرابع لسنة ١٩٢٧، فرأينا ان نتتطف منه بعض المعلومات عن محاصيلنا الوطنية، فنذكر شيئاً منها في هذا العدد من المشرق وشيئاً في العدد القادم:

### الزراعة

#### الحالة الزراعية العامة

هطلت الامطار بكثرة في الزمن الموافق للحرائة موزعة بطريقة موافقة ايضاً في جميع مناطق الانتداب فنتج ان الحالة الزراعية سنة ١٩٢٧ كانت تبشر بخير النتائج. وقد وافقت هذه النتائج التقديرات في اكثر المناطق فكانت التلآت كافية مرضية. على ان بعض التقلبات الجوية الخاصة ببعض المواقع كزيادة الرطوبة في السهول، وزيادة الجفاف على الشواطىء في الربيع مع ظهور بعض الحشرات الطفيلية الضارة بالزرع والشرب كالسوتة في شمالي سورية، احدثت اضراراً جمة. اما مساحة الاراضي المحروثة فزادت قليلاً عنها في سنة ١٩٢٦، لا سيما في منطقة جبل الدروز حيث كان التقدم محسوساً بسبب اعتماد الحركة الثورية التي نشبت سنة ١٩٢٥.

#### الحبوب

بلغت زراعة الحبوب السنوية ابي القمح والشعير في سنة ١٩٢٧، حسب احدث التقديرات مساحة ٧٦٠,٧٠٠ هكتار وقد كانت تبلغ في السنة الفائتة ١٩٢٦ مساحة ٧١٦,٥٣٥ هكتاراً. وهي تقسم كما يلي: ٤٩٥,٥٠٠ هكتار للقمح تقابل ٤٦٣,٨٩٥ هكتاراً في سنة ١٩٢٦، و ٢٦٥,٢٠٠ هكتار للشعير تقابل ٢٥٢,٦٤٠ هكتاراً في سنة ١٩٢٦.

وبفضل هذه الزيادة في البذار، ثم بفضل ما اتخذ من الاحكام لابلادة

الحشرات الطفيلية وحفظ الزرع من اضرارها ، فاقت محاصيل الحبوب هذه السنة محاصيل السنة الثالثة . فبلغت محاصيل القمح ٣٩٦,٩٠٠ طن ، يقابلها ٣٧٢,٧٨٩ طناً في سنة ١٩٢٦ ؛ وبلغت محاصيل الشعير ٣٣٣,٦٥٠ طناً يقابلها ٢٣٥,٤٢٢ طناً في سنة ١٩٢٦ . ولا بد هنا من الملاحظة ان الزارع السوري في شمالي سوريا يميل شيئاً فشيئاً الى ابدال زراعة القمح بزراعة الشعير ، وهو بذار ينجو من شر السونة بفضل سرعة نموه وبلوغه . وفضلاً عن ذلك فان الشعير له بين الصادرات مركز حسن ، ومنفذ فسيح وافر الريح في الخارج . وقد بلغ ما فات الحاجة من الشعير في السنة الثالثة ٣٣,٤٤٠ طناً فصدرت الى الخارج وبلغ ثمنها على التقريب ٣٢,٥٠٠,٠٠٠ فرنك .

اما زراعة الحبوب الصينية كالذرة البيضاء والصفراء فكان تقدمها بطيئاً جداً بخلاف ما تقدم ذكره من الحبوب . فبينما كانت مساحة الارض المزروعة بهذه الحبوب ٧٩,٢٨٠ هكتاراً في السنة الثالثة لم تبلغ هذه السنة الا ٦٣,٩٨٠ هكتاراً . وقد لوحظ التأخر ذاته في المحاصيل فقد بلغت هذه السنة ٨٠,٦٥٠ طناً وقد كانت السنة الثالثة ٩٨,٨٠٠ طن . على ان محصول هذه السنة ١٩٢٧ يزيد عن محصول سنة ١٩٢٥ الذي لم يبلغ الا ٥٩,٧٠٠ طن .

هذا ولما كانت الحكومة لا تتراجع امام شي . في سبيل تعزيز الزراعة ، وهي اهم مورد لثروة مناطق الانتداب ، رأيت ضعف اجناس الحبوب الوطنية تاهت باستبدالها بغيرها من الاجناس القوية . ولهذا عرضت على الزارعين اصنافاً من القمح كانت استورده من تونس والجزائر .

النظر

ان مساحة الارض التي خصت لزراعة القطن في سنة ١٩٢٧ لم تتجاوز ٢٥,٠٠٠ هكتار يقابلها في سنة ١٩٢٦ ، ٣٢,٠٠٠ . اما سبب هذا النقص فنتاج عن الظروف الاستثنائية التي جعلت المزارعين ينصرفون عن القطن الى زرع الحبوب ، ومن ذلك ظهور الجراد وهبوط اسعار القطن في السوق العالمية . على ان الذين ظلوا واتقن وثابروا على زرع نالوا نتائج غاية في الحسن . فقد بلغت محاصيل هذه السنة ١٩,٠٠٠ قنطار يقابلها ١٧,٠٠٠ في سنة ١٩٢٦

## شارع الاب شيخو

في الجلسة الاخيرة التي عقدها المجلس البلدي البيروتي اقترح احد الاعضاء ،  
الوجيه رزق الله بك ارقش ، اطلاق اسم الاب شيخو على احد الشوارع الهامة  
في العاصمة ، اقراراً بما له من الفضل الخالد على البلاد . وقد استطرد رزق  
الله بك قائلاً: « ان الاب شيخو هو خالد بما خلفه من الآثار العلية ا فلا حاجة  
به الى ما اقتدمت لتخليد ذكره وكل ما ابتغي ان أخلد اقرارنا بمجمل الرجل  
ومعرفتنا لفضله .» قبل هذا الاقتراح بالاجماع وسينفذ في اول فرصة .  
فنحن نشكر المجلس وللمعضو الفضال رزق الله بك هذه العاطفة الشريفة .

## تمثال للمطران يوسف الدبس

وردتنا نشرة مفادها ان قد تأسست في بيروت ، برعاية صاحب القبطة  
السيد الياس الحويك البطريرك الانطاكي ، لجنة غايتها اقامة تمثال للطبيب الذكر  
المطران يوسف الدبس اعجاباً بآثاره ، واكباراً لماثره الخالدة . وقد سرنا  
ان يشترك وجهاء البلاد ومفكروها ، على اختلاف توجهاتهم ، في تحقيق هذه النكرة  
الحسنة . اخذ الله بأيديهم ، وقدّمهم على تعزيز الفضل في كل زمان ومكان .

## لا جديد تحت الشمس!

اكثر جرائدنا في الشتاء الماضي من ذكر الامطار والزوابع . وكان  
الكثيرون يرددون ان شتاء السنة فريد في برده وعواصفه . على ان شتاء سنة  
١٧٥٦ كان اهل زوابع واشد برداً حتى ان نهر العاصي تجدد « وقد تعطلت  
الآلات الصناعية .» وفي كانون الثاني من سنة ١٧٧١ زحلت الصخور من الجبال  
فوق كفرنبرخ ( الشوف ) فهدمت عدة بيوت في مزرعة مجاورة ، وقتلت جملة  
اشخاص . وفي ١٦ نيسان من سنة ١٧٧٦ ، تساقط الثلوج بكثرة حتى غطت  
لبنان بكامله من اعلى الامم الى شاطئ البحر . وبمكس ذلك فان صيف سنة  
١٧٨٥ كان كثير الجفاف حتى ان « نبع العاصي نشف منه اكثر من النصف » .

هذا ويمكن المطالع ان يرى كثيراً من هذه المثلومات اللاتة والمفيدة في  
كتاب قيم ثمر مؤخرًا بعنوان سيادة المطران قطّان ، وسنعود الى ذكره .